

الدكتور مصباحي علي

جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي الجزائر

البريد الإلكتروني: [alimosbahi75@gmail.com](mailto:alimosbahi75@gmail.com)

الفكر الحدائفي في الساحة النقدية العربية وموقف "عبد الملك مرتاض" منه

ملخص المقالة باللغة العربية:

في ظل الاحتكاك الثقافي بين النقاد العرب والغرب والبعثات العلمية المتبادلة حدث تلاقح في الأفكار والمعارف فظهر على الساحة النقدية العربية المعاصرة الفكر الحدائفي أو ما اصطلح عليه بالحدائفة " التي انتشرت بين بريق لها عند بعض النقاد وعُتمة عند الآخرين ، بين قبول ونفور ، وبين تأييد وإنكار ، فالحدائفيون يدعون إلى التغيير المستمر في كل شيء ولا شيء عندهم ثابت حتى أن "رولان بارت" اعتبرها زلزالا حضاريا عنيفا ، وانقلابا ثقافيا شاملا لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه ؛ إذ هي موقف عام وشاملا ومعارض للثقافات التقليدية وفي ظل هذا الوافد الجديد إلى البيئة العربية المعاصرة تصدع معسكر النقاد العرب وانقسم إلى ثلاثة اتجاهات كبرى هي:

الاتجاه الأول هم الحدائفيون واعتبروا إن الحدائفة حركة تنويره في الثقافة العربية وبداية مشروع نهضوي يُحقق أمل الشعوب ودعا هذا الاتجاه تبني الفكر الغربي وما يحتويه من نظريات ومعارف ومنهاج نقدية ، ويأتي على رأس هؤلاء "أحمد خالد سعيد الملقب بـ"أدونيس"

أما الاتجاه الثاني فهم أنصار التراث ونادى هؤلاء إلى الالتزام والتشبث به ، والذود عنه من حملات التغريب المسعورة ، وأنصار هذا الاتجاه هم أصحاب الرؤية الدينية الأصولية ويأتي على رأسهم "أنور الجندي" و"محمد أركون" و"نبيل سليمان"

أما أصحاب الاتجاه الثالث هم أصحاب النظرة التوفيقية ونادى هؤلاء إلى مساندة تطور الفكر الغربي ومعارفه والاستفادة منه وانتقاء ما يصلح لخدمة التراث العربي الزاخر كمناهج نقدية ونظريات حديثة وآليات نقدية معاصرة دون إهمال للتراث العربي الزاخر بالكنوز و المعارف التي تمثل الهوية وارث الأجداد . فأين يقف عبد الملك مرتاض من هذه الاتجاهات الثلاثة؟ وما هو موقفه من الحدائفة وبريقها الذي سطع على العيون؟

الكلمات المفتاحية باللغة العربية : التراث- الحدائفة- عبد الملك مرتاض - النقد- الغرب

**Abstract:**

**In light of the cultural friction that happened between the Arab and Western critics, and the mutual exchange of scholarship and knowledge, Modernism was born. Like most schools of thoughts, modernism was very well received among some and rejected by others. And between acceptance and refusal, supporting and denying; moderns are calling for constant change in everything for nothing is fixed. Roland Barthes considered it as a violent modern earthquake and a sweeping cultural transgression that modern man cannot control; it is a general attitude and an antithesis to traditional cultures**

**In the context of this newcomer to the contemporary Arab environment, the Arab critics' camp cracked and split into three major trends:**

**The first trend is the modernists: they considered modernism as an enlightenment movement in the Arab culture and the beginning of a Renaissance project to achieve the hope of the people and called to adopt Western thought and its content of theories, knowledge and critical approaches, and comes at the head of these "Ahmed Khaled Said, known as " Adonis "**

**The second trend. Represented in the support of the heritage and called to adhere to it, and protect it from the campaigns of Westernization, and supporters of this trend are the owners of the religious vision of fundamentalism, represented by "Anwar soldier" and "Mohammed Arkoun" and "Nabil Suleiman".**

**The third trend supporters are the owners of a conciliatory view. These call at keeping pace with the development of Western thought and its knowledge and benefiting from it, selecting what works to serve the rich Arab heritage as a critical curriculum, modern theories and contemporary monetary mechanisms without neglecting the Arab heritage; that is rich in treasures and knowledge that represent the position "Abd El-Malek Mortad" identity and ancestral heritage. What.....**

toward these three trends and what is his view toward modernization and its enlightenment.

**Key words:** Modernity- Heritage-Abdul Malik Mortad- criticism- Western

1- مقدمة:

انتشرت كلمة الحداثة في واقعنا اليوم بين بريق لها عند بعض الناس، وعممة عند آخرين، وبين نفور وإقبال، وتأييد وإنكار. ويرجع هذا لتناقض المواقف، فالتأييد ينشأ من التقاء المنهج والأهداف، والمعارضة تتبع من تضارب في ذلك. فهذه هي الظاهرة الجديدة البارزة في واقعنا الأدبي والنقدي<sup>(1)</sup>.

والحداثة تدعو إلى التغيير المستمر في كل شيء، ولا شيء ثابت عندهم في الحياة أبداً ولذلك اعتبر "رولان بارت" "الحداثة زلزلاً حضارياً عنيفاً وانقلاباً ثقافياً شاملاً لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه"<sup>(2)</sup>، إذ هي موقف عام وشامل ومعارض للثقافات التقليدية الشاملة السائدة، فالحداثة تدعو إلى إعادة النظر في كثير من الأشياء والتحرر من القيود، فهي عملية تقدمية حتى ولو كان المخاض عسيراً، فهي تشد عصراً جديداً يقترن بالتطور والتقدم وتحرر الإنسان، فالحداثة هي رؤية فلسفية وثقافية جديدة.

وفي ظل هذا الرافد أو الرؤية الفكرية الوافدة إلى البيئة العربية ذات الأصول والنشأة الغربية، وفي ظل تلاقي الأفكار والاحتكاك الثقافي العربي والغربي، تنازع في الساحة النقدية العربية ثلاثة اتجاهات كبرى مختلفة، أولها يتبنى المناهج النقدية الحديثة في الغرب ويرى أنه لا يمكن أن تنهض الحياة العربية والإنسان العربي إلا إذا لم تنهدم البنية التقليدية القديمة السائدة للفكر.

وثانيها يدعو للعودة إلى التراث العربي القديم والانطلاق منه لتكوين نظرية عربية جديدة مستقلة عن الآخر، أما الاتجاه الثالث فيسعى إلى التوفيق بين هذين الاتجاهين (الحداثة والتراث النقدي العربي القديم).

وعليه فإن البيئة النقدية العربية المعاصرة انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات نقدية مختلفة

(2) النقد العربي المعاصر والحداثة:

لم ينبج كثير من المفكرين والفلاسفة والنقاد البارزين العرب من الوقوع أسرى في الرؤية الغربية المتعصبة، وتياراتها الفكرية والنقدية المتعددة الرؤى ذات المشارب المختلفة فاحتضنوها وتبنوها باعتبارها حركة تنوير في الثقافة العربية وثمره الفكر العقلي في بداية النهضة، فهو قمة التنوير في عالمنا العربي المعاصر<sup>(3)</sup>، وهو ثورة تنويرية ذات مشروع جذري وشامل يتضمن عناصر عقلانية تنويرية كونه ينتقل بالأدب والفكر التراثي من حيز اللاهوتي الذي يقدر الماضي ويسمو به من الحيز التاريخي إلى حيز التحليل والنقد<sup>(4)</sup> وعليه يجب

الاستضاءة بمناهج و مدارس النقد الغربي، وبنوع خاص تلك التي لها نظائر في النقد الأوروبي وضرورة الاستفادة من كل مناحي واتجاهات بعض علماء النقد الأوروبي لفهم وتفسير الظواهر الأدبية والنقدية. وعلى هذا ينبغي أن نتعلم كما يتعلم الأوروبي ونشعر كما يشعر الأوروبي ولنحكم كما يحكم الأوروبي<sup>(5)</sup>، ولهذا تعددت مناهج نقد النص الأدبي وشهد المجتمع الأدبي العربي في العقود الثلاثة الأخيرة، مرحلة هائلة من التجريب النقدي من الانهيار والتشتت والانتقاء وعدم الوضوح واللهفة إلى اللحاق بالحدثة باعتبارها عملية تقدمية واعية بالواقع، وبالتالي نقده بهدف التغيير نحو الأفضل. ولكي تتضح الرؤية أكثر يجب علينا معرفة مفهوم الحدثة أكثر؟ وكيف كانت نشأتها في الساحة الأدبية العربية؟، وكيف نظر إليها أنصارها؟ وما هي حججهم في الدفاع عنها؟ وما هي إيجاباتها في نظرهم؟

أ- مفهوم الحدثة:

مفهوم الحدثة مفهوم شديد الالتباس وذلك نظرا لتعدد السياقات التي تستخدم فيها، وينبع قدر أكبر من هذا الالتباس من خلطنا بين هذه الدلالات رغم افتراق السياقات إضافة إلى عدم تجانس المفهوم لأنه يتسم بالنسبية في أغلب الحالات، وقد تعددت مفاهيم الحدثة عند النقاد وكل نظر إليها من زاوية. ولهذا وصفه النقاد بأنه مفهوم مطاط وليس له صورة واحدة أو شكل محدد فهو مفهوم متحرك وشؤلي يشمل كل التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية بكل فروعها التي وفدت لعالمنا الغربي<sup>(6)</sup> يقول: "مُحدّ برادة" أن " ليس الحدثة مفهوما سيولوجيا أو سياسيا أو تاريخيا يحصر المعنى، وإنما هو صيغة مميزة للحضارة... "<sup>(7)</sup>. ويقول أيضاً: " فالعصرية هي الوعي الذي تُكوّنه عن نفسها العصور والأجيال والحقب... "<sup>(8)</sup>.

ولعل من المهم الإشارة إليه أن المعاصرة لا تعني التخلي عمّا أُبدع سابقاً والانطلاق من الصفر كما يزعم العدميون. فلا يمكن لشيء، أي شيء، أن يولد من عدم، فالمعاصرة هي إعادة خلق جديدة للعالم وفق المعطيات الجديدة. والمعطيات الجديدة نوعياً هي بنت المعطيات القديمة التي تجاوزتها بعد أن ولدت في رحمها. وكل إبداعات عصرنا الجديدة لن تكون أكثر من درجة، درجة محدودة في إطار الزمان والمكان، في سلم التطور الحضاري غير المتناهي، درجة تستند إلى ما تحتها وتقوم بإسناد ما يولد منها ثم يعلوها، فللتورة التي ستدمر كل ما أنجز قبلها لن تقوم أبداً. والمراوحة في المكان نكوص على درب الحضارة الصاعد دوماً.

فالتطرف اليميني الجامد والتطرف اليساري المدمر يكادان يتساويان في عدم معقوليتهما وعدم انسجامهما مع تطور الفن والأدب. ... " (9).

والحدائثة في مفهومها الأدبي تطلق على الجدة والإتيان بالشيء الجديد الذي لم يؤت بمثله من قبل ويتحرر من إيسار المحاكاة والنقل والاقْتباس واجترار القيم وتمثل الحدائثة في الأسلوب أو في المضمون أو في الاثنين معا ، فيكون صاحبها مبدعا وخالق مذهب جديد مطبوع (10).

أما "خالدة سعيد" فتري: " أن الحدائثة أكثر من التجديد ولا يكون الجديد حدائثا إلا إذا طرح القضايا الأساسية للحدائثة وتمحور حول المفصل الصراعى لها (11)" ، وتقول: " ترتبط الحدائثة المعاصرة بصورة عامة بالانزياح المتسارع في المعارف وأتماط العلاقات والإنتاج على نحو يستوعب المعارف القديمة التي تحولت بفعل ثباتها إلى معتقدات " (12).

أما "كمال أبو ديب" فينقلنا إلى عالم الغموض والحيرة والشك من خلال تعريفه للحدائثة حيث يقول: " الحدائثة إذن هي وعي الزمن بوصفه حركة تغيير ... والحدائثة اختراق لهذا السلام مع النفس ومع العالم وطرح للأسئلة القلقة ، التي لا تطمح إلى الحصول على إجابات نهائية بقدر ما يفتتها قلق التساؤل وحمى البحث ، والحدائثة جرثومة الاكتناه الدائب والقلق المتوتر إنها حمى الانفتاح " (13).

وفي هذا التعريف لا نُنكر براعة اختيار الألفاظ واحتمال أثرها واحتمال تأثيرها الغامض في بعض النفوس ، ولكنها تعبيرات عائمة لا تجد غناء أبدا إلا الطنين وهي تعبيرات تكشف عن نفسية قائلها وعن فكره، فتنة ، قلق، حمى، توتر ... الخ ، ثم جرثومة (14)، وهو ما يدل على صعوبة هضم هذا المصطلح ، والخروج بمفهوم ثابت ومضبوط لتعريف الحدائثة.

ويقول: " كمال أبو ديب" أيضا: " الحدائثة انقطاع معرفي ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث ، في كتب "ابن خلدون" والمفكرين القدامى أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني كون الله مركز الوجود وكون السلطة السياسية مدار النشاط الفني وكون الفن محاكاة للعالم الخارجي، والحدائثة انقطاع لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني وكون الإنسان هو مركز الوجود وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني وكون مصدر المعرفة اليقينية إذا كان ثمة معرفة يقينية وكون الفن خلقا لواقع جديد.... " (15).

ويعرف رائد الحداثة "علي أحمد سعيد" الملقب بـ"أدونيس" أن " الحداثة هي حركة تصدعات وانزياحات معرفية، قيمية، فإنّ واحداً من أهم الانزياحات وأبلغها، فهو نقل حقل المقدس والأسرار في مجال العلاقات والقيم الدينية والماضوية إلى مجال الإنسان والتجربة والمعيشة"<sup>(16)</sup>.

فدعوة "أدونيس" هنا إلى الحداثة باعتبارها رؤية نهضوية مستقبلية والتي تنطلق من حركتهم إلى الأمام رفضاً للحاضر المحبط والواقع الذي فقد شرعيته، والتمرد على التقاليد الموروثة وبين محاولة إعادة تفسير التراث الديني المقدس و الأسراري والثقافي واستقرائه في مجال الإنسان، والتجربة والواقع المعيش.

ب- نشأة الحداثة:

الحداثة من المفاهيم التي جرى حولها جدل ولغط كبيران، فإذا كانت الحداثة انبنت بالأساس على المعنى اللغوي، فإنها حملت إيجابيات ومعاني ومضامين جديدة، فغالبية الباحثين يرون أن بواكير الحداثة بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر .

إذا كان النقاد يختلفون مشاربهم وأفكارهم واتجاهاتهم، قد اختلفوا في مفهوم الحداثة ودلالاتها، وكذا الموقف منها إلا أنهم مجمعون على نشأة الحداثة في الغرب، ولكن لا يزالون مختلفين في التاريخ لها. فغالبية الباحثين يرون أن بواكير الحداثة بدأت أواخر القرن التاسع عشر في الغرب في حقول الأدب بعد أن قوضت الرومانسية أركان الكلاسيكية، فنشأت الحداثة على أيدي شعراء فرنسا "شارل بودلير" و"رامبو" و"مالارمي". وذلك مع بداية الرمزية ونهاية الرومانسية سنة 1830، ويرى بعضهم أنها بدأت بعد 1880، ويرى "كيرمود" أنها انطلقت مع السنوات العشر الأولى في القرن 20 وآخرون اعتبروا بدايتها بين 1910-1914<sup>(17)</sup>.

ويحدد د.هـ "لورانس" بداية الحداثة لحركة أوروبية أدبية وفنية كبرى سنة 1915، حيث شهدت نهاية العالم القديم عالم ما قبل (ح ع II)، وترتضى "فرجينيا وولف" عام 1910، بينما يختار "أزرا باوند" عام 1912، وهو العام الذي تمّ فيه تدشين النزعة التصويرية إحدى أهم حركات الحداثة في إنجلترا. ويرى "هاري ليفين" أن مدّ الحداثة كان ما بين عامي 1922-1924، ويفضل ريتشارد إيلمان عام 1900 لبداية عنفوان الحركة<sup>(18)</sup>.

أما الحداثة العربية فيقول الواقع التاريخي أنها كانت فرعاً من فروع الحداثة الغربية. ولقد كان للأحداث التي سبقت الحرب العالمية الثانية، ومهدت لها خصوصاً الحرب الأهلية الإسبانية التي انتهت بانتصار القوى

الفاشية سنة 1939 فكان لها صدى قوي في مصر بالذات، حيث كانت مهياًة بموقعها لأن تكون مهدا وهدفا مباشرا من أهداف المحور، خاصة وأن في مصر جاليات كثيرة العدد وعظيمة الثراء، وكان بينهم عدد كبير من اليهود من جنسيات مختلفة، فكان طبيعيا أن يتجمعوا وأن يتدارسوا موقفهم وأن يحاولوا القيام بعمل ثقافي إعلامي يضم شملهم ويقرب بين أفكارهم ويجتذب إلى التعاطف معهم ممن يمكن اجتذابه من المثقفين الوطنيين" (19).

وبظهور النهضة الأدبية الفكرية في العصر الحديث ظهر "طه حسين" في نهاية الربع الأول من القرن العشرين، وكأنه سهم افترع عذرية الخمول التي يجتمى بها الفكر العربي ومن ذلك الوقت تفجرت مواقف متباينة أفضت إلى ظهور قراءات متضادة لفكره ورؤيته ودوره في الثقافة العربية الحديثة. وانتظم حوله من الزمن ضربان من القراءة: قراءة أولى اعتبرته مهددا لمنظومة القيم الدينية والفكرية والأدبية الموروثة وقرأته ضمن سياق ثقافي له مقولاته المستقرة الثابتة التي احتجت وراء تصورات دينية وفكرية محددة، لم تكن قادرة على تجديد ذاتها طبقا لمقتضيات التحديث العام الذي شهدته العصر. وقراءة ثانية مضادة تماما أدرجت "طه حسين" ضمن مشروع التحديث "الحداثة" واعتبرته ممثلا لحركة التنوير في الثقافة العربية وقرأته في ضوء المقولات التي شاعت في أوروبا إبان القرنين الثامن والتاسع. وهي الحقبة التي عرفت بعصر التنوير، وباعتبارها ثمرة الفكر العقلي التجريبي ضد الكنيسة منذ بداية عصر النهضة (20).

وجرت مقايضة بين "طه حسين" من جهة، ومفكري عصر التنوير من جهة ثانية، فاعتبر مشروعه الفكري قمة عصر التنوير في عالمنا المعاصر، وأنه ثورة تنويرية، أو أنه ذو طبيعة تنويرية كونه نقل النظرة إلى التراث من الحيز اللاهوتي الذي يقدس الماضي إلى النقد التاريخي الذي يرى الماضي صيرورة موضوعية ينبغي أن تخضع لمناهج التحليل والنقد (21).

ول"طه حسين" آراء تبناها خاصة في رؤيته للشعر الجاهلي، وذلك استنادا لتبنيه رؤية منهجية فيقول " فالنصوص التاريخية الصحيحة تبتدى بالقرآن" (22).

ويقول عن القرآن الكريم: "هو وحده النص العربي القديم الذي يستطيع المؤرخ أن يطمئن إلى صحته ويعتبره مشخصا للعصر الذي تلي فيه" (23).

وهذه المفاهيم والآراء ما كانت لتكون لولا تأثر "طه حسين" بمنهج الشك الذي جاءت به فلسفة "ديكارت". ومن ثم فقد حذا حذو الناقد "طه حسين" العديد من النقاد والأدباء، بحيث تأثروا بالمناهج

والأفكار الغربية مثل: "أدونيس"، "كمال أبو ديب"، "سلامة موسى"، "شكري عياد"، "خالدة سعيد"، "إلياس الخوري". وبعد هذه الرؤية التي رآها "طه حسين" والنقاد الذين تبنا أفكاره، أصبح معظم النقاد متجهين صوب المستودع الأدبي الأوروبي بحثاً عن أدوات التحليل والتفسير حتى عندما حاولوا إعادة تقويم روائع التراث العربي. وقد اجتهد بعض هؤلاء النقاد مثل: "طه حسين"، "العقاد"، «هيكل»، "المارني"، في ترك انطباع في إبراز قيمة التراث عن طريق إظهار إمكانية تطبيق المناهج الغربية على جوانبه الهامة"<sup>(24)</sup>.

وفي هذا المضمار يقول "محمود أمين العالم": "إن التصورات والمفاهيم الأساسية لهذا الفكر النقدي هي صدى لتصورات ومفاهيم نقدية أوروبية، وأن مختلف الاتجاهات في نقدنا العربي المعاصر هي صدى لتيارات نقدية أوروبية ووراء هذه التيارات مفاهيم ابستمولوجية وإيديولوجيات"<sup>(25)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ هناك بعض النقاد رأوا أن الحداثة لها بذور في النقد والأدب القديم في العصر الأموي والعباسي خاصة في شعر "أبي تمام"، "أبي نواس"، "ابن الرومي"، بحيث حاولوا الخروج عن البناء الفني القديم للقصيدة العربية، التي كانت تبدأ بالوقوف على الأطلال، حيث شدّ هؤلاء عن هذه البداية؛ ف"أبو نواس" مثلاً نَحج منهاجاً فنياً يختلف عن نَحج الشعراء القدامى، وذلك لأنه لم يقتصر فيه على زلزلة البناء الفني القديم والثورة عليه أحياناً ولكن تعدى ذلك إلى تطويره وتجديده في معظم قصائده"<sup>(26)</sup>.

وإذا كان "أبو نواس" من الشعراء الذين وضعوا بذور هذا الاتجاه التجديدي فقد جاء شعراء آخرون من بعده وتهدوه بالسقي بمعين وأفكار غير عربية حتى أصبحت شجرة وافرة الظلال تؤتي أكلها للشعراء الذين حملوا لواء التجديد الشعري من بعده، ومن ثم فلسنا مغالين إن قلنا إن "أبا نواس" هو من أرسى قواعد التجديد الفني في بنية القصيدة العربية"<sup>(27)</sup>.

### 3) عبد الملك مرتاض والتوفيق بين التراث والحداثة:

وبعد وفود الحداثة إلى الساحة النقدية العربية المعاصرة وما أحدثته من ضجة فكرية وأدبية كانت لها انعكاساتها على النقاد العرب منهم من تبناها واحتضنها ومنهم من نفر منها واعتبرها تخريباً إجرامياً ذا طبيعة إيديولوجية ومنهم الصف الثالث الذي دعا إلى ضرورة الحفاظ على التراث والاهتمام والتعمق في البحث في مكوناته مع متابعة مع يحدث من جديد على الساحة النقدية وما هو وافد من مدارس نقدية غربية ولما لا تسليط الضوء من خلال هذه المناهج والنظريات على التراث العربي القديم واكتشاف الكنوز وتقديم إضاءات جديدة لتراثنا العريق الأصيل.

ومن بين النقاد الذين دعوا إلى هذه النظرة "عبد الملك مرتاض"، حيث عمل جاهدا على التوفيق بين الحداثة والتراث وضرورة الاستفادة من الأمرين ومن كلا الجانبين.

يقول "عبد الملك مرتاض": "أنا لم أحارب الحداثة قط فأنا حدثي حتى النخاع ... أنا عاكف على إعادة قراءة الكتابات الحداثية الفرنسية بتأن وتعمق ... غير أن حدثي لا تعني جحودي لمنزلة التراث العربي الإسلامي العظيم، فأنا أقرأ لعباقرة العرب والمسلمين في الوقت الذي أقرأ فيه لعباقرة الفرنسيين وكل ما هو مترجم من اللغات الغربية الأخرى الإنجليزية، الألمانية، الروسية، الإيطالية ... إما إلى الفرنسية وإما إلى العربية. والذي يرفض الحداثة لابد أن يكون جاهلا مثله مثل الذي يرفض التراث، حذو النعل بالنعل والحليم الأريب هو من يوفق إلى الإفادة من فيضهما المعرفي الثرائر. وأنا حين اعترضت على الحداثة كنت أعترض في الحقيقة على الحداثيين العرب الذين يتعلقون بالقشور فينبهرون لما يرون من هذه الحداثة لأنهم يجهلون المعرفة الكبيرة المنتشرة في أمهات التراث وفي كتابات كبار العرب ومفكريهم"<sup>(28)</sup>.

ومن خلال المقولة المطولة ضمن هذا الحوار الذي أجراه "عبد الملك مرتاض" يتبين لنا أن "مرتاض" يدعو إلى ضرورة التوفيق بين التراث والحداثة، ولا يمكن إهمال أي طرف منهما نظرا لأنهما يمثلان ضرورة في ازدهار الحقل المعرفي عامة والنقدي خاصة. وقد دعا "مرتاض" من خلال إستراتيجية يجب إتباعها في البحث العلمي إلى ضرورة التنقيب في التراث واستخلاص واكتشاف القضايا والمفاهيم والنظريات في ما هو حدثي أو ما جاءت به الحداثة من زلزال معرفي. حيث يقول مرتاض: "أنا لا أتناول قضية في النقد الحداثي الغربي حتى أحاول التنقيب عن جذورها في التراث العربي (فقد وجدنا في التراث مقادارا صالحا من المفاهيم مثل مرجع "عبد القاهر الجرجاني" والعلامة "الجاحظ" والسمة والعلامة معا "الجرجاني" والحيز الأدبي "الحافظ والأصفهاني" و التناص (تحت مصطلح السرقات الأدبية: "الجاحظ"، "ابن طباطبا العلوي" و"ابن رشيق" و"علي بن عبد العزيز الجرجاني" و"حازم القرطباني" و"ابن خلدون" و"الراغب الأصفهاني" ونظرية نسيجية الشعر التي ذكرها "الجاحظ" في (الحيوان)، ونظر بها "جان كوهين" في كتابه (بينية اللغة الشعرية)، وما لا يحصى من أصول الأفكار الواردة في كثير من النظريات النقدية الغربية الحداثية، ومنها أنطلق إلى مدارسه الحداثة"<sup>(29)</sup>.

ودعوة "مرتاض" صريحة إلى ضرورة التقنين والبحث في التراث العربي الإسلامي الثري بالعديد من الكنوز المعرفية والفكرية، وهي التي بدورها قد تخلق قواسم مشتركة بين ما هو موجود في الحداثة ونظرياتها الحديثة

والتراث العربي القديم أو بصيغة أخرى أن هناك العديد من النظريات والمفاهيم النقدية الغربية التي جاءت بها الحداثة موجودة بذورها وجذورها في التراث العربي الزاخر. وقد ضرب "مرتاض" العديد من الأمثلة والنماذج في هذه المقولة.

وكل هذا إن كان يدل على شيء فإثماً يدل على أن "عبد الملك مرتاض" دعا إلى ضرورة التوفيق بين ما هو حديث وما هو تراثي وضرورة الأخذ والاستفادة منهما ، دون تمهيش واحد عن الآخر ، ولعل حفريات المعرفة عند عبد الملك مرتاض يقوي ما نذهب إليه في النظرة التوفيقية بين الاستفادة من الحداثة والتراث فمطالعات "مرتاض" لأمهات الكتب التراثية جعلته ينظر بنظرة احترام وبر لها واعتراف بمكوناتها ومضمونها الزاخر بالكنوز النفيسة من نظريات واءاء نقدية شكلت في زماننا هذا ارضية أبستمولوجية للعديد من المدارس النقدية وهذا الصدد يقول "عبد الملك مرتاض": "لا ينبغي علينا أن لا نعق تراثنا النقدي بالمسارعة الى انكار بعض الاصول التي تعد جذرا من جذور النظريات النقدية الحديثة ، فإننا لو عزفنا الفكر العربي وجننا بالفكر الغربي لانهارنا امام دروبه ومجاهله ومثل هذا السلوك العقيم العاق معا يدفع الى الانتحار الفكري لأنه يجعله قوما دون هوية ، ادباء دون أدب ونقاد دون نقد" (30).

ويقول- ايضا - "ولعل الذي يقرأ كتابات العرب المفكرين الكبار أمثال الحاجظ وابن جني وعبد القاهر الجرجاني والكندي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وغيرهم يقتنع بعظمه هذا التراث المتنوع الراقي" (31). فالحضارة العربية الذي شيدها الغرب وسادت الدنيا في حقبة زمنية ما وهو ما وافر بعظمتها العدو به قبل الصديق بنت أسسها ودعائمها من هذ التراث الثر الزاخر السخي فكل من ينادي بالتخلي عنه والارتقاء فيما عند الغرب من المدارس نقدية ونظريات وافكار تقمصت أنثروبولوجيا مجتمعة هو نوع من العقوق و الانتحار غير محمود العواقب وخطوة نحو الجهول والناقد عبد الملك ينادي بالتوفيق بين الاتجاهين والاستفادة من كليهما فكلا التيارين او الاتجاهين يحمل محاسن ومساوى في الغث والسمن فعلينا أن نعمل جاهدين من اجل الاستفادة من ايجابيات كل واحد منها بنظرة توفيقية يسودها الوثام والتلاحح الفكري والتعايش الأيديولوجي من أجل بناء رؤية انسانية أفضل حيث يقول وبصراحة: " إذن، فبمقدار ما أنا حديثي فأنا تراثي، وليعجب من أراد أن يعجب من ذلك" (32).

ويرى أنصار هذا الاتجاه- أنصار التوفيق- أن الصراع بين القديم والجديد يحافظ على توازن المجتمع واستقراره إذ يقول "مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ حسين" "الواقع أن المعركة بين أنصار القديم الموروث وبين أنصار الجديد الطارئ ضرورية

لسلامة المجتمع فالمحافظون يحدون من طيش المندفعين إلى طلب كل غريب طارئ، ويجرون وراء كل طريق براق مما يفقد الحياة ما يلزمها من الاستقرار الذي يحقق الطمأنينة ويمكن من البناء ودعاة التطوير يخرجون المحافظين من دائرة الكسل ويخرجون هذه الجماعات من التبلد والجمود والركون نتيجة للعكوف على الموروث وتكراره تكرارا آليا يعطل التفكير والملكات الإنسانية، وذلك لأن دعاة التطوير يجبرون المحافظين على الدفاع عن أنفسهم فيحتاجون إلى الدفاع وإلى التسلح بأسلحة خصومهم ودراسة مما يستطرقون من مذاهب في حين أن مهاجمة المحافظين لدعاة التطور تضطرهم إلى الحد من غلوائهم وتنبه المجتمع إلى مواطن الضعف والشر فيما يستجلبون"<sup>(33)</sup>.

ويرى دعاة التوفيق على أن الأمة يجب أن تكون قوية في روحها وشخصيتها وقيمتها، فإن التواصل بين الأمم يؤدي إلى تبادل الثقافات ولكن الأمم والأقوام ليسوا في ذلك على سواء، فالأمة تملك القدرة على النقد والتميز فيستحسن وتعرف الصحيح من الفاسد، وهي بذلك تهضم ما تقتسيهما تستحسنه عند غيرها وتمتصه وتفنيه في ذاتها. والمهم في ذلك كله هو أن الاقتباس والتطور على كل حال بالقدر الذي لا ينقلها عن جبلتنا لا يغير حقيقتنا ولا يقطع صلتنا بالماضي. وعلى هذا فإن قبول بعض ألوان من الجديد إن كان ذلك لا يمس وجدان الأمة، ولا يؤدي إلى زعزعة قيمها الروحية وعاداتها وتقاليدها"<sup>(34)</sup>.

#### 4- خاتمة :

ما نستطيع أن نستنتجه من خلال الابحار في هذا الموضوع المتشعب والعميق أن الناقد "عبد الملك مرتاض" قد وقف موقف الرجل الحكيم الذي مسك العصا من وسطها لم يعق تراثه ويرمه في دار العجز او دفنه في مقابر النسيان باعتباره منتهى الصلاحية، بل بقي باراً له محسناً مجللاً اليه فقد دعا الى ضرورة التنقيب في كنوزه النفيسة التي شكّل بعضها اليوم أرضية أستمولوجية للعديد من النظريات النقدية الغربية ، كما نادى بضرورة مواكبة سيرورة العصر والاطلاع ما عند الاخر والاستفادة من الحداثة وما تنتجه العقول الغربية من نظريات ومعارف وافكار جديدة .

فهذه النظرة التوفيقية المتزنة نساهم في الابداع وخلق فضاءات نقدية جديدة وخصبة وذلك بالاستعانة بأدوات اجرائية مستوردة من الحضارة الغربية وهذا دون اهملنا لتراثنا العربي العريق الزاخر بالكنوز المعرفية ، والاكثر من ذلك هو المحافظة على هويتنا وعقلنا العربي والشخصية العربية ، أما الذوبان فيما عند الاخر من

افكار وآراء وتوجهات أيديولوجية فهو أشبه ما يكون بالعملية الانتحارية الغير محمودة العواقب والغير المدروسة.

5- التهميش :

1- زعربان علي النحوي ، تقويم نظرية الحدائة ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، جنة، ط1992، ص1، ص18.

2- المرجع نفسه، ص35.

3- سيد البحراوي، البحث عن المنهج النقدي العربي الحديث، دار الشقيقات ، القاهرة ، 1993، ص50.

4- عبد الله إبراهيم الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الاتساق والمفاهيم ولرهانات العوامة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط1999، ص1، ص14.

5- المرجع السابق، ص50.

6- ينظر محمد عابد الجابري ، التراث والحدائة - دراسات ومناقشات- مركز الوحدة العربية ، بيروت1991، ص16

7- المرجع السابق، ص51.

8- المرجع نفسه، ص51.

9- ميخائيل عيد ، أسئلة الحدائة بين الواقع والشطح -آراء- منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ت1998، ص22.

10- جبور عبد النور؟ المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط1، ت1979، ص92.

11- سيد البحراوي، البحث عن المنهج النقدي العربي الحديث، ص25.

12- المرجع نفسه، ص25.

13- المرجع نفسه، ص25

14- زعربان علي النحوي ، تقويم نظرية الحدائة ، ص37.

15- المرجع السابق ، ص38.

16- عبد العزيز حمودة ، المرايا الخدبة من البنيوية إلى التفكيكية ، دار المعرفة ، الكويت ، ط1998 ص31.

17- زعربان علي النحوي ، تقويم نظرية الحدائة ، ص37.

18- محمود الغشيري، الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة - دليل القارئ العام- ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة، ط2003، ص164،

19- 18- شكري محمد عياد ، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط1993، ص17.

20- عبد الله إبراهيم الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الاتساق والمفاهيم ولرهانات العوامة ، ص13.

21- المرجع نفسه، ص14

مخائيل عيد ، أسئلة الحدائة بين الواقع والشطح -آراء- منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ت1998، ص22.

- 22- المرجع نفسه، ص14 .
- 23- المرجع نفسه، ص14 .
- 24- المرجع نفسه، ص55 .
- 25 المرجع نفسه، ص56 .
- 26- عثمان موفي ، دراسات في النقد العربي ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ط1998، 2، ص236
- 27- المرجع نفسه، ص 236 .
- 28- كمال ربحاني ، مواجهات وحوارات أدبية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دط، دت، ص417-418 .
- 29- جهاد فضل ، صدمة الحداثة لأدونيس، صدمة لأصول البحث العلمي والروح الحداثة ، مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، عدد2، ت1978، ص417 .
- 30- عبد الملك مرتاض ، نظرية النص الادبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ت1983، ص186 .
- 31- المرجع نفسه، ص 187 .
- 32- المرجع نفسه، ص417 .
- 33- عثمان موفي، دراسات في النقد العربي، ص152 .
- 34- كمال ربحاني، مواجهات وحوارات أدبية، ص153 .